

الأمناء

مجلة دينية ثقافية إجتماعية

عدد خاص

صاحب الامتياز
احمد صبرة

غرة ربيع الاول ١٣٨٤

١٠ يولييه ١٩٦٤

العدد السابع

السنة الثامنة عشر



يا خير من جاء الوجود تحية
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
شوق

تفسير القرآن الكريم

قال الله تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ، لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ،

[سورة النساء — الآيات ١٦٣ — ١٦٦]

١ - الآيات السابقات بينت أحوال القلوب اذا أظلمت ، والنفوس اذا انحرفت وعصت أمر ربها ، وجعل حال بنى اسرائيل فى ماضيهم وحاضرهم مثلاً واضحاً بينا ، فقد مالت قلوبهم عن الحق بعد أن جاءتهم البينات ، وما من آية أتتهم لتزيدهم ايماناً الا ازدادوا بها كفراناً ، وما تركوا جريمة الا ارتكبوها باسم أنهم أبناء الله

صلى الله عليه وسلم بما عاملوا به من سبقه من الأنبياء ، غدروا بعد أن عاهدهم ووفى لهم ، وحاولوا قتله غدراً ، واشتركوا مع أعدائه لقهده ، ولكن الله تعالى منعه منهم ، ومكنه من رقابهم . وبعد أن ذكر سبحانه ما يدل على شدة جحودهم ، أشار سبحانه الى ألا يلتفت اليهم ، وأنه ليس بدعا من الرسل ، بل هو كمال السلسلة النبوة التى اختارها الله تعالى من البشر ، لتكون

ويعضون الآخرين من رسله ، وهم يعاملون محمداً

حجة الله تعالى الى يوم القيامة : فقال عز من قائل :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ
وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ . »

٢ - هذا النص مربوط في المعنى بقوله تعالى :

« يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ
كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ
مِنْ ذَلِكَ ، »

وقد قالوا غير ذلك في آية أخرى فأنكروا
الرسالة الالهية جملة من بعد موسى ، وقالوا :
« مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، »

مبالغة في انكار رسالة النبي صلى الله عليه
وسلم ، ففي هذه الآيات وما اليها بيان بوحي الله
تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم وانه مثل بقية
الرسل ، فما كان بدعا من الرسل ، بل هو في
تلقي رسالة الله كسائر الرسل . ولذا قال
تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح
والنبيين من بعده . . . »

. الوحي في الاصل الاعلام الخفي ، والاشارة
والايماء ، والالهام ، وغير ذلك من المعاني التي
تدل على أنه اعلام خاص ، لا يكون بطريق
الاعلام الظاهر ، وقد قال تعالى :

وَمَا كَانَ لِدَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا
وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا . .

فالوحي على هذا نوع من خطاب الله تعالى
لرسله ويقابله الكلام من وراء حجاب ،
وارسال ملك من الملائكة بالخطاب .

والوحي هنا يعم الانواع الثلاثة من كلام الله
تعالى لرسله ، كما يدل السياق على ذلك .

والكلام سوق لبيان المشابهة والمشاكلة بين
وحي الله تعالى لنبيه الكريم الذي هو آخر لينة
في صرح النبوة والرسائل الالهية ، وبين الوحي
لرسل السابقين ، وقد أكد سبحانه وتعالى المشابهة
بنسبة الايحاء اليه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ،
وبأن المؤكدة ، فقال : « انا أوحينا اليك . . . »

٣ - وقد ابتدأ سبحانه وتعالى بذكر نوح
عليه السلام ، لأنه الأب الثاني للخلق ، ولأنه
أول نبي معروف في القرآن بعد أبي البشر ،
ولأن في ذكره معنى التهديد للذين يجحدون
ويحاربون الرسالة الالهية :

« رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
ذِبَارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ، وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا »

فذكره تذكير بتهديده ، واستجابة الله تعالى لدعائه .
وقد ذكر سبحانه وتعالى نبين من بعده في الزمان
الطويل الذي كان بينه وبين ابراهيم أبي الانبياء
من بعده ، ثم قال سبحانه وتعالى من بعد :
« وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون
وسليمان . . . »

وقد ذكر سبحانه وتعالى كلمة « وأوحينا » لتأكيد
الايحاء ، وللإشارة الى وجود فترة زمنية طويلة

ويونس عليه السلام اذ تخلى عنه الصبر فهذه ربه
في الدنيا ، ثم صار من المخلصين وقد قال سبحانه :

« وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ
إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
الْمُدْحَضِينَ ، فَالْتَمَعَ الْخَوْتُ وَهُوَ مَلِيمٌ ،
فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلِثَّ فِي
بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، فَتَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ
وَهُوَ سَقِيمٌ . »

٢ - وقد ختم سبحانه ذلك الفريق من
النبين بذكر داود فقال تعالى : « وآتينا داود زبوراً »
أى كما أعطينا داود كتاباً خاصاً هو الزبور ،
والقراءة المشهودة بفتح الزاى ، وقراءة حمزة
بضمها أى زبوراً ، وعلى الاول يكون معنى زبوراً
بمعنى المزبور فى المكتوب ، وعلى الضم يكون
جمعاً للزبر بكسر الزاى ، والزبر هو الشيء
المكتوب ، وعلى أى القراءتين فالمعنى أعطينا كتاباً
مكتوباً يقرأ ويرتل .

ويظهر أن كتاب الزبور لم يكن فيه بيان
للأحكام ، لأن التوراة كانت شرائعها هى النظام
المتبع ، بل هو حكم ومواعظ ، وقد قال فيه
القرطبي : « الزبور كتاب داود ، وكان مائة
وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا
حرام ، وإنما هى حكم ومواعظ » .

ولقد أعطى الله سبحانه وتعالى داود صفتين
تبدوان بين الناس متعارضتين . احدهما - أنه كان
رجل حرب وجلاد ، ورجل حكم وفصل بين
الناس . والثانية - أنه كان طيب النفس متواضعاً

بين نوح عليه السلام وابراهيم ، فان التكرار فى
الذكر ايحاء الى التباعد فى الزمن ، ولأن هنا
مفارقة بين الانبياء الذين جاءوا بعد نوح ،
والمذكورين ، لأن أولئك جميعاً من ذرية ابراهيم
وان تفاوتت مراتبهم ، واختلفت أماكنهم ، وان
القارى يلاحظ أمرين :

أولهما - أن كل نبي من هؤلاء الذين ذكرهم
الله تعالى فى هذا النص الكريم يختص بصفة :
فابراهيم أبو الانبياء ، واسماعيل أبو العرب ،
واسحق أبو أنبياء بنى اسرائيل ومثله يعقوب ،
وقد اختص بالصبر على فراق ولده ، وحببيه ،
والاسباط ، وهم أولاد يعقوب عليه السلام جمع
سبط ، وهو ولد الولد مثل للغيرة البشرية تعترى
الشباب فى فورته وحدته ، ثم ثوب الى رشده بعد
أن يكتمل عقله ، وتكتمل نفسه ، وقد أوحى الله
تعالى اليهم ، وبلغوا مرتبة الاصفياء المهديين ،
ولعل الوحي اليهم كان من قبيل الالهام ، لأنه
لم يكن لهم رسالات بشرائع خاصة ، وعيسى عليه
السلام كان روحانياً فى حياته كلها ، ولد من غير
أب ، وعاش طوول حياته يدعو الى الروح ،
واخروج من سلطان المادة ، فله بين الانبياء
خواصه وهو من البشر الذين خلقهم الله تعالى
آية للعالمين . وأيوب عليه السلام له صفة الصبر
على المرض الاليم وقد قال تعالى فيه :

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّى مَسْنَى الضَّرِّ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ
مِنْ ضُرٍّ ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ
حِمَّةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ . »

ولست النبوة مقصورة في هؤلاء ، انما هناك نبوات ورسالات أخرى كانت في الأمم البعيدة مثل الصين والهند ، وغيرها من الاراضى التى سكنها أقوام كثيرون ، وليس لنا الا أن نفرض أن رسلا بعثوا الى هؤلاء الاقوام ؛ لان الله تعالى يقول :

« أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . »

ولاشك أن تركهم من غير نبى مبعوث ترك لهم سدى ، وذلك ما نفى الله تعالى فى استنكار أن يقع ، وقد قال تعالى :

« وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » .

ولذلك قال تعالى فى هذا النص الكريم الذى نتكلم فى معناه « ورسلا لم نقصصهم عليك » ونصبت . ملا على الاشتغال أى نصبت بفعل قد تضمن معناه الفعل الذى ولى المنصوب والمعنى قصصنا رسلا من قبل :

« ورسلا لم نقصصهم عليك »

ويكون الابتداء بذكر الرسل فيه الاهتمام بهم لانهم المقصودون ، وأخبارهم وقصصهم جاء تبعاً لهم ، وختم الله النص بقوله تعالى :

« وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا »

٦ - هذا تخصيص لموسى عليه السلام بالذكر ، ولم يذكر فى ضمن من ذكروا من السابقين . وذلك لأنه هو الذى نزلت عليه التوراة التى كانت شريعة لمن جاء بعده ، ولأن اليهود الذين جحدوا بآيات الله كانوا يدعون الأخذ بشريعته ، ولأنهم نزل به اختبار شديد بسبب بنى اسرائيل الذين

متظامنا ، فكان لا يأكل الا من عمل يده ، ولذلك كان مثلاً للنبوة التى تحكم وترشد وتتواضع وتقود الجيوش ، وهو الذى كان تحت يده كل خزائن ملكه ، ويعف عن أن يمد يده اليه ، ويأكل من عمل يده ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى بيان حالة : « ان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » فهو النبى الملك القائد الذى أدخل نفسه فى زمرة العمال ، اذ كان لا يأكل الا من عمل يده .

« وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ . »

٥ - هذا بيان اجمالى يقرر أن الله تعالى أرسل رسلا كثيرة ، قد قص خبر بعضهم على النبى صلى الله عليه وسلم ، والآخر لم يقصه ، والقص تتبع الأثر يقال قصصت أثره ، ثم أطلق على الاخبار المتتابعة ، ونرى هنا أن قص متعديّة مفعولها المذكور أخبارهم ، والمعنى على هذا فى النص تتبعنا آثارهم وأخبارهم التى يكون فى ذكرها عبرة لأولى الالباب ، وليكون ضرب الامثال للنبى صلى الله عليه وسلم فى صبرهم ، وايداء أقوامهم لهم ، وان الرسل الذين قصهم الله تعالى على نبيه من قبل كان فى السور المكية ، فانها مملوءة بأخبارهم وفيه ذكرى النبوات الاولى السابقة على نبوة النبى صلى الله عليه وسلم . وان أكثر هؤلاء الذين قص الله تعالى أخبارهم ممن اكانوا فى البلاد العربية أو يجاورونها ، أو كانت له صلة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى نسب ، أو كان الذين يدعون اتباعهم يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم ، ويمارون فى دعوته .

كانوا ، وأخيرا لأنه اختص من بين المذكورين بأن الله تعالى كلمه ، وقد جاء التصريح بأنه كلمه في هذا النص ، وفي غيره ومن ذلك قوله تعالى في أول سورة طه :

« فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ، إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى »

وكان بعث الرسل لكى يكون الذين يعصون على علم بما يستقبلهم والذين يطيعون على بينة بأوامر ربهم ويكون الذين يعذبون ليس لهم عذر من جهل ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ، أى لكى يسقط كل اعتذار للعصاة فى عصيانهم بعد البيان الحكيم والارشاد المبين فمن ضل فمن بينة ، والله سبحانه برحمته وفضله ومنه يسمى ذلك حجة عليه

« لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ » .

وقد قال المعتزلة ان لله دائما الحجة على خلقه بالعقل الذى أودعه خالقهم ، وهو هادمرشد ، ولكن ارسال الرسل رحمة من الله تعالى ، ولذا قال الزمخشري فى تفسير النص الرسل منبهون من الغفلة وباعثون على النظر كما يرى علماء أهل العدل والتوحيد (أى المعتزلة) مع تبليغ ماحلوه من تفصيل أمور الدين ، وبيان أحوال التكليف ، وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعبة وتسيما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فوقظنا من سنة الغفلة وينبها لما وجب الانتباه له .

والحق أن الناس لا يهتدون فى جملتهم الى الشرائع الصحيحة ، بل هم بعدها مراتب منهم من يهتدون بمجرد بيان الحق ، ومنهم من لا يقنعون الا بالبرهان الملزم ، ومنهم من لا يطيعون الا بالتهديد ومنهم عصاة جائرون باثرون .

وان هذا يدل على أن الله تعالى متصف بصفة الكلام ، والمعتزلة من الفرق الاسلامية ينكرون نسبة صفة الكلام لله تعالى ، ويذهب فرط غلو بعضهم الى أن يفسروا قوله تعالى « وكلم الله موسى تكليما » بأن كلم من الكلم لا من الكلام ، أى أن الله تعالى اختبر موسى عليه السلام اختبارات شديدة كانت كاللحام والجروح وتلك مغالاة فى تفسير القرآن الكريم بالمذهبية ، وقد أنكره الزمخشري وهو منهم وسماء من بدع التفسير والحق أن كلم من الكلام ، وقد أكد تكليم الله تعالى لموسى بالمصدر ، والظاهر من الكلام اذا أكد ، كان غير قابل للمجاز ولا للتأويل . وانه يجب تفسير القرآن بظواهره ، وخصوصا الظواهر المؤكدة ولا تطعى الآراء المذهبية على المعانى القرآنية ، فالقرآن منبع الحق ، ونور المتقين .

« رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، لَّئَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » .

٧- فى هذا النص الكريم بيان لعمل الرسل ، والحكمة من بعثهم ، وقد أرسل هؤلاء مبشرين الحق داعين اليه ، يبشرون الطائعين بحسن العاقبة فى

قَوْلِ أَحَقِّ الْمُنْبِيِّ عَلَى الْيَقِينِ الْقَاضِعِ ، وَشَهَادَةِ اللَّهِ أَقْوَى وَثِيقَةً فِي هَذَا الْوُجُودِ ، وَكَانَتْ شَهَادَتُهُ بِالْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْمَحْكَمِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ • وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ ، وَارَادَتِهِ وَحُكْمَتِهِ ، فَهُوَ حِجَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْصِّدْقِ • وَشَهَادَةُ الْمَلَائِكَةِ تَبَعٌ لَشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَشَهَادَتُهُمْ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ ، فَشَهَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ، وَعَلَيْهِمْ ، وَشَهَادَةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ •

وَقَدْ خَتَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْآيَةُ بِقَوْلِهِ « وَكُفِّي بِاللَّهِ شَهِيداً » أَيْ أَنَّهُ لَا عِبْرَةَ بِانْكَارِ الْمُنْكَرِينَ بَعْدَ شَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَفِيهَا عِزَّةُ الْحَقِّ وَخَفْضُ الْبَاطِلِ ، وَلَمْ تَذْكُرْ هُنَا شَهَادَةَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّهَا تَبَعٌ لَشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِي ذِكْرِ الْمَتَّبِعِ غِنَاءٌ عَنِ التَّابِعِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

وَقَدْ خَتَمَ سُبْحَانَهُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ « وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً » أَيْ أَنَّهُ الْقَادِرُ الْغَالِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْحَكِيمُ ، الَّذِي يَدْبِرُ الْأَمْرَ بِحُكْمَتِهِ وَعِزَّتِهِ •

« لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهِدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ »

٨ - جحد أهل الكتاب وكفروا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا إليه أن يأتي بشهادة من عند الله ، وعينوا الشهادة بأن تكون كتاباً كما قال تعالى « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » فرد سبحانه وتعالى عليهم بقوله تعالى « لكن الله يشهد بما أنزل » فالاستدراك هنا عن مستدرك من كلامهم وجحودهم ، فالمعنى إذا كانوا لا يقرون بالحق ، ويدعون له ، فالله تعالى شاهد بالحق وأى بيته أجل من بيان الله تعالى تلزم المنكرين أنى يكونوا ، والشهادة هى

دعوة المظلوم

« اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ، فإنه ليس بدنه وبين الله حجاب » .

حديث شريف

غاية الزهد

عرضت على بطحاء مكة أن تكوز لى ذهباً ، فقلت لا يارب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً فإن جمعت صبرت واسترجعت وإن شبعتم حمدت وشكرت .

حديث شريف

من الأحاديث القدسية

روى أبو نعيم في « الحلية » :

« أوحى الله إلى موسى نبيّ بني إسرائيل أنه من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار » .
قال : يارب ومن أحمد ؟ . قال : ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منه ، كتبت اسمه مع اسمى
فى العرش قبل أن أخلق السموات والأرض ، إنّ الجنة محرّمة على جميع خلقى حتى
يدخلها هو وأمته .

« قال : ومن أمته ؟ . قال : الحمادون يحمدون صعوداً وهبوطاً ، وعلى كل حال ، يشدون
أوسطهم ، ويطهرون أطرافهم ، صائمون بالنهار ، رهبان بالليل ، أقبل منهم اليسير ، وأدخلهم
الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله .

« قال : اجعلنى نبيّ تلك الأمة .

« قال : نبيها منها .

« قال : اجعلنى من أمة ذلك النبيّ .

« قال : استقدمت واستأخر ، ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال .

ومعنى قوله : « من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار » ، أى من لقينى من بنى إسرائيل
وهم قوم موسى—وهو كافر بأحمد أدخلته النار ، والسبب فى هذا أن الله قد أخبرهم به فى التوراة ،
وقد بشرهم به موسى عليه وعلى نبيينا الصلاة والسلام ، فمن كفر بمحمد بعد ذلك كان مكذباً
لله تعالى ، ولرسوله ، ومن كان كذلك استحق الخلود فى النار وبئس المصير .

وقوله : « ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منه » ، أى ما خلقت خلقاً له من الكرامة عندى
مثله ، وهذا يتضمن تفضيله على الملائكة .

وقوله : « كتبت اسمه مع اسمى فى العرش ... » ، أى كتبت « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ،

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يقرع باب الجنة ، ويدخلها ، وأُمته أول الأمم دخولا للجنة . وهذه الفضيلة إنما نالتها الأمة إكراماً لنبيها صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

و « الحادون » صيغة مبالغة في الحمد ، أى كثيرو الحمد لله سبحانه وتعالى ، فهم يحمدونه إذا سعدوا وجبلا ، ويحمدونه إذا هبطوا وادياً ، ويحمدونه في الشدة ، ويحمدونه في الرخاء ، ويحمدونه على كل حال . وهم يشدون أوساطهم ، أى يأتزرون على أوساطهم ، ويظهرون أطرافهم أى يتوضئون ، وهم صائمون بالنهار ومتهمجون بالليل ، والله تبارك وتعالى يقبل منهم العمل البسير ، ولا يكلفهم بالتكاليف الشاقة كما قال الله تعالى : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، ويدخلهم الجنة بشهادتهم أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

ولما علم موسى بهذه الخصوصيات لأمة محمد صلى الله عليه وسلم دعا الله أن يجعله نبياً لها فأخبره الله تعالى أن نبيها منها ، أى هو عربى من ولد إسماعيل ، وموسى من نسل لإسرائيل ، فطالب موسى أن يكون من أمة محمد ، فأخبره الله تعالى بأن وقت ظهوره متأخر عنه ، ولكنه وعد به أن يجمع بينهما في دار الجلال ، وهى الجنة .

وقد روى الطبرانى والزيير بن بكار في معنى الحديث ما يلى : « صفته أحمد المتوكل ، مولده مكة ، وهاجره إلى طيبة (المدينة) ، ليس بفظ ولا غليظ ، يحزى بالحسنة الحسنه ، ولا يكافى السيئة بالسيئة ، أُمته الحادون يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال ، قربانهم الذى يتقربون به إلى دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار » .

وصدق الله العلى العظيم إذا يقول فى وصف الرسول وأصحابه :

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُهمُ فى وُجُوهِهمُ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمُ فى التَّوْرَةِ ، ومَثَلُهُمُ فى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ، يعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَعْرِةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

نبي الى حمد

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « إنما أنا رحمة مهداة » . حديث صحيح
رواه الحاكم .

- ان جوانب الحديث عن شخصية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كثيرة متعددة ، يجد القلم فيها كل حين ما يشغل به ، ومن هذه الجوانب جانب الرحمة التي تجلت فيه ، وانبثقت منه ، وشملت القريب اليه والبعيد عنه ، لأنه جاء حاملا لواء السلام والرحمة ، ولم يترك أسلوبا من أساليب الرفق الا اتبعه ، حتى صار جديرا بلقب « نبي الرحمة » ولا عجب فهو القائل : « إنما أنا رحمة مهداة » .
- وقد جاء فى معنى هذا الحديث أحاديث أخرى منها هذه الأحاديث :
- ١ - إنما بعثت رحمة ، ولم أبعث عذابا .
 - ٢ - انى لم أبعث لعانا ، وإنما بعثت رحمة .
 - ٣ - أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة .
 - ٤ - أنا محمد وأحمد ، أنا رسول الرحمة ،
- أنا رسول الملحمة .
- والرحمة كما يقول الاصفهاني رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم ، وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة ، وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة ، نحو : رحم الله فلانا ، واذا وصف الله بهذا الوصف فلا يراد به الا بالاحسان المجرد من الرقة ، وعلى هذا روى أن الرحمة من الله انعام وافضل ، ومن الآدميين رقة وتعطف ، وقد ذكر الله تعالى فى طبائع الناس الرقة وتفرد بالاحسان .
- وقد وصف القرآن الكريم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالرحمة فى مواطن كثيرة فقال :
- « قبا رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . وقال :
- « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . وقال :
- « يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » . وقال :

الحديث « حديثا كريما عن ذلك ، وعبارته :
 « ثلاث ينقص بهن العبد في الدنيا ، ويدرك بهن
 في الآخرة ما هو أعظم من ذلك : الرحم (بضم
 الراء وسكون الحاء) ، والحياء ، وعى اللسان » .
 ويقول ابن الاثير موضحا لذلك : « الرحم
 بالضم الرحمة ، يقال : رحم رحما ، ويريد
 بالنقصان ما ينال المرء بقسوة القلب ووقاحة الوجه
 وبسطة اللسان التي هي أضداد تلك الخصال من
 الزيادة في الدنيا » .

وحينما نراجع سيرة الرسول الاكرم محمد
 صلى الله عليه وسلم نجد فيها المواقف الكثيرة الدالة
 على رحمته وثيقته وحلمه وحسن معاملته للناس ،
 فهذا أعرابي جاف يقبل على رسول الله يطلب منه
 معونة فيعطيه ، ثم يسأله النبي : هل أحسنت اليك
 يا أعرابي ؟ . فيجيبه بجواب الجفاء والكران
 قائلا : لا والله ، ما أحسنت ولا أجملت .

وبهم الصحابة ليطشوا بالرجل ، ولكن
 الرسول يمنعهم . ويدخل الرجل بيته ، ويعطيه
 ثم يعطيه حتى ترضى نفسه ، ويبالغ الرجل في
 شكر الرسول ، ويخرج فيقرر ذلك الشكر أمام
 الصحابة ، فيرضون بعد غضب ، ويشبه الرسول
 موقفه مع الرجل بصاحب الجمل مع جملة
 الهارب ، فإن الناس اذا جروا وراء الجمل زادوه
 عنادا واستمرارا في الفرار ، ولكن صاحب الجمل
 أدري به ، يستطيع أن يسوسه ويسلس قياده .
 وهذا أعرابي ثان يقبل على الرسول فيأخذ

بتلابيه حتى يؤثر الثوب في عنق الرسول ، ثم
 يقول : له : يا محمد ، اجمل لي على بعيري من مال
 الله الذي عندك ، فانك لا تحمل لي من مال أبيك

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
 عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

ولقد كان رسول الله من بليغ رحمته بقومه ،
 وشديد حرصه على هدايتهم ، يألم أشد الألم
 حينما يراهم مصرين على الضلال ، مقيمين على
 الكفران ، وهو يحب لهم من أعماق نفسه أن
 يهتدوا ليلفحوا ويفوزوا ، وقد صور القرآن هذا
 الألم بقوله : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم
 ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

وباخع النفس هو مهلكها ، فمعنى هذا أن
 الرسول كاد يقضى على نفسه حزنا وأسفا على
 ضلال قومه ، ورجاء في هدايتهم لفائدتهم
 ومصلحتهم .

وقد وصف الرسول نفسه بالرحمة ، ومن
 مظاهر رحمته أن يأمر بالرحمة ، ويوصي بالتيسير
 والتخفيف ، فيقول : « يسروا ولا تعسروا ،
 وبشروا ولا تنفروا » . ومن مظاهر رحمته أن
 يكون هو البشير بالخير في مواطن الخوف والفرع
 فهو بشير أمته ساعة الهول ، وهو الذي يسأل
 ربه أن يرفق بها ، وفي الحديث : « وأنا مبشرهم
 اذا أيسوا » أى يسؤوا . وفي الحديث أيضا :
 « أنا فرطكم على الخوض ، من مر على شرب ،
 ومن شرب لم يظما أبدا ، وليردن على أقوام
 أعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم ،
 فأقول : يارب ، انهم مني ، فيقال لي : انك لاتدرى
 ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير
 بعدى » .

ولقد نوه الرسول بفضل الرحمة وثمرتها ،
 فروى ابن الاثير في كتابه « النهاية في غريب

بالتحريض والتدب ، ويصوغ ذلك فى أسلوب حكيم بارع ، يحسن الجمع بين التأكيد والترقيق ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » .

ومن مظاهر رحمته الساطعة أنه كان يذيق نفسه ما يتعرض له الفقراء والمجهودون من متاعب وآلام ، فهو مثلا يكثر من الصوم حتى يشعر بما يصيب المحرومين من لذعة الجوع وشدة الحرمان ، وهو يجوع جوعا شديدا حتى يربط الحجر على بطنه ، وهو يأبى أن يحول الله له جبال مكة ذهبا أو فضة ، ويقول : « لا يارب ، بل أجوع يوما فأدعوك ، وأشبع يوما فأحمدك » . وهو يأبى أن يكون فى الارض ملكا جبارا ، أو سلطانا قهارا ، بل يتواضع فيطلب مرتبة العبودية لله ، ويدعو ربه قائلا : « اللهم أجنى مسكينا ، وأمتى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين » .

ولقد روى أسامة بن زيد أن زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن بنتها تحضر ، وسأله أن يشهد لحظاتها الاخيرة ، فأرسل اليها النبى يسلم عليها ويقول : « ان لله ما أخذ وما أعطى ، وكل شىء عنده مسمى » . وأمرها بأن تصبر وتحسب ، وكأنه اتقى رؤية الطفلة ، حتى لا تتفجر فى نفسه ينابيع الالم والشفقة ؛ فعاودت زينب السؤال وأقسمت عليه ، فذهب اليها ، ووضع الطفلة فى حجره ونفسه تميد ، وفاضت عيناه بالدموع ، فقال له أحد أصحابه : ما هذا يا رسول الله ؟ . فقال : « هذه رحمة يضعها الله فى قلوب من شاء من عباده ، ولا يرحم الله من

ولا من مال أمك ، فيظهر الحلم والرحمة بأكملهما فى الرسول ويقول : « المال مال الله وأنا عبده » ، ولكن يقاد منك يا أعرابى « أى لى أن أفعل معك مثل ما فعلت بى » .

فقال الاعرابى : لا ، إنك لا تفعل . قال الرسول : ولم ؟ قال الاعرابى : لأنك لا تجزى السيئة بالسيئة ، ولكنك تجزى السيئة بالحسنة . فعفا الرسول عنه ، وأعطاه ما أراد .

ومن البراهين الساطعة على رحمة الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه كان حريصا الحرص كله على أن يبقى صدره سليما طاهرا ، لا يصيب غضبه على أحد ، ولا يناله تغير على أحد ، ولذلك كان يقول : « لا ييلقنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا ، فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر » .

وكان من رحمته صلوات الله وسلامه عليه أنه اذا سمع بكاء الطفل وهو فى الصلاة خفف صلاته خشية أن نسمع والدته الطفل بكاءه وهى بين المصليات فضطرب ، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « انى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد اطأيتها ، فأسمع بكاء الصبى ، فأتجاوز فى صلاتى (أى أخففها) مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » .

وكانت الرحمة تتجلى فيه حتى عند نصحه باتباع أمر من الامور ، فهذا مثلا هو السواك ، يرى الرسول صلى الله عليه وسلم أن استعماله مفيد نافع ، ويهم أن يأمر به قومه عند كل صلاة ، ولكن رحمته تخشى أن يكون فى ذلك الامر المفروض مشقة وعنت ، فيرجع عن الأمر ، ويكتفى

عباده الا الرحماء » ♦

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل في الصلاة ، فيأتي الحسن أو الحسين ، فيركب فوق ظهره وهو ساجد ، فيطيل النبي سجوده وأفة ورحمة وشفقة عليه ، ويسأله أحد أصحابه : لقد أطلت سجودك ؟ فيجيب : ان ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله ! ♦

ومن هنا قال أنس : « ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ♦
ومن دلائل رحمته أنه أعطى صفوان بن أمية وهو حديث الاسلام ، ثم أعطاه وأعطاه ليتألف قلبه ، وفي ذلك يقول صفوان : « لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لأبغض الخلق الى ، فما زال يعطيني حتى انه لأحب الخلق الى » ♦

ولما اشتد أذى قومه له سأله بعض صحابته أن يدعو الله تعالى عليهم ويلعنهم ، فقال : « اني لم أبعث لعانا ، ولكني بعث داعيا ورحمة » ♦
ولما جاءه جبريل عليه السلام يعرض عليه أن يطبق على المشركين المؤذين الجبلين المسميين بالأخشين انتقاما منهم ، لأنهم آذوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا » ♦

ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله عنها تركب بعيرا فيه

صعوبة ، وكانها تقسو عليه ، فقال لها : « يا عائشة عليك بالرفق ، فانه لم يكن في شيء الا زانه ، ولا نزع من شيء الا شانه » ! ♦

ثم هاهو ذا موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من اليتيم... اليست عنايته به ورعايته له وتوصيته عليه من مظاهر الرحمة البالغة ؟ ♦ ألم يقل : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بأصبعيه متقاربتين ♦

ألم تشمل رحمته الحيوان فعنى به وحث على حسن معاملته والتلطف معه ؟ ♦ ألم يخبرنا أن امرأة خاطئة دخلت الجنة لانها سقت كلبا بلغ به العطش مبلغه ، وأن رجلا دخل الجنة لمثل ذلك ؟ ♦

ألم يخبرنا أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ؟ ♦

ألم تظهر رحمته بأتمته في قوله : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي بالغة ان شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا » ♦

أفلا يكون سيدنا محمد - بعد هذا كله - صادقا كل الصادق حين قال : انما أنا رحمة مهداة؟!
صلاة الله وسلامه على نبي الرحمة وهادي الأمة الى سواء السبيل ♦

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

قرآن كريم

من أحسن ألق الرسول

وقد أجمع الناس المحب منهم والمبغض والكاشح والواق على أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان أكمل الناس خلقا وأصفاهم نفسا خصه الله بمناقب لا يحصيها أحد من العالمين ومحاسن لم تنهيا لسواه من الخلق أجمعين •

كيف لا وقد جعله الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وآتاه علم الأولين والآخرين وفضله على خلقه تفضيلا ومنحه من العزم ما لم يمنحه سواه ومن الفضل ما لا يدركه سواه حتى أظهر هذا الدين القويم وأثار الصراط المستقيم فكل فضل منسوب الى فضله وكل علم مستضاء من علمه ونبله •

ومن أحسن ما يؤثر مما اختصه الله به ماروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه سمع يوم وفاته يقول وهو يبكي بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى « ومن يطع الرسول فقد أطاع الله » بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك عن أى شىء يعفو فقال « عفا الله عنك لم أذنت لهم » بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعلك

إذا هل شهر ربيع الأول من كل عام هجرى وجدت نفسى مدفوعا الى الكتابة فى ذكرى الرسول الأكرم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى لو أردت أن أقاوم هذه الدوافع أو أعارض هذه النوازع لأكتب فى موضوع آخر ما استطعت الى ذلك سبيلا ولا طاوعتنى نفسى أن أجد تحويلا •

وقد عودنى ربي ألا يجيى عام ولا يرد موسم الا وبين على بالاقباس من الانوار المحمدية فأكتب المقال وكأنى أحفظ ما أكتب فى الرسول عن ظهر قلب لا أتكلف تعباً ولا أعانى نصبا مما يتكلفه الكاتبون أو يعانى القائلون •

ولو جمعت هذه المقالات لكنت عقدا منظوما فى سيرة سيد الخلق سلكه ايمان وحب وولاء واعتقاد وتقان فى حب من أخرج الناس من الظلمات الى النور وأرسله ربه الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا •

وقد رأيت أن يكون هذا المقال سمطا من درارى أخلاقه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذى علمه ربه أن ينظر الى نفسه وأن يفاضل بين يومه وأمه ومن عرف نفسه حق المعرفة عرف الله تعالى فى أشرف نفعاته وأتم صفاته ثم اتصل به حتى يرشده كيف يعمل ليتكامل بالفضائل ويتطهر من أدران الرذائل ويتحلّى بجميع السمائل •

أخذنا من النبيين مثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم. بأبى أنت وأمى لقد بلغ
من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون لو كانوا
أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون : ياليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسول .

بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى
قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كبر
سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن
معه الا القليل .

ومن كريم ما يؤثر من أخلاقه صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم ماتحدث به الواصفون عن حلمه
واحتماله وعفوه عند المقدرة وصبره على ما يكره
وهذا مما أدبه به ربه كماورد عنه صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم « أدبنى ربي فأحسن تأديبي »
وقد أمره الله تعالى بالعفو فى الآية الكريمة :
« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

وقد قيل ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم
الاخلاق من هذه الآية . وروى أن النبى صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم لما نزلت عليه هذه الآية
سأل الأمين جبريل عن تأويلها فقال حتى أسأل
العالم ثم ذهب وأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك
أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو
عمن ظلمك . وقال تعالى لنبىه صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم حكاية عن وصية لقمان لابنه
« يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ »

وعزم الأمور مفروضاتها وواجباتها التى لا رخصة
فى اهمالها لأرباب كمالها وقال :
« وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ
وَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَلِأَتْبَاعِهِ :

« وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ

اللَّهُ لَكُمْ » .

أى أن سبب المغفرة هو العفو والصفح والاحسان
الى من أساء واعتدى . وفى الآية التفات يفيد
الاهتمام بأمر المتصفين بهذه الصفات وقد روى
البخارى أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر
رضى الله عنه بل أحب ، وأعاد الى مسطح نفقته
التي قطعها عنه خوذه مع أهل الافك وخطئه
وذلك أن مسطحا كان قريب أبى بكر ومسكينا
ومهاجرا وكان أبو بكر ينفق عليه فلما خاض
فى حديث الافك الذى نزه الله عنه زوجه رضى
الله عنها قطع أبو بكر عنه النفقة ، ولما نزلت الآية

« وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا »

عاد أبو بكر الى ما كان مع مسطح ووصله
كما كان يصله ، وفى الآية دليل على فضل
الصديق وسعة عفوه وإذا كان هذا العفو والصفح
موصوفا بهما أكابر هذه الأمة فكيف لا يكون صاحب
النبوة موصوفا بأعلى مراتبها وأرفع منازلها وقال
تعالى :

« وَلِمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ » .
وهذه من الاخلاق التى أمر الرسول الكريم

أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا
لو دعوت عليهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
« أنى لم أبعت لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة
المهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » •

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
أنه قال بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال « رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا » ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا عن
آخرنا فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت
رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • فانظر أيها القارىء
ما فى هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية
الصبر والحلم وعدم الجزع اذ لم يقتصر صلى الله
تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم
وصفا لهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع
عند ربه لهم فقال اغفر لهم أظهر الشفقة والرحمة
بقوله لقومه ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال انهم
لا يعلمون •

ولما قال المنافق ذو الخويصرة لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو يقسم بعض
القوائم أو تبرأ أرسله على كرم الله وجهه ورضى
عنه من اليمن اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله ، لم يزد فى جوابه أن بين له ما جهله
ووعظ نفسه وذكرها بما قال الله فقال ويحك
فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم
أعدل وكان من أخباره صلى الله تعالى عليه وسلم
بالغيب فى شأن هذا المنافق أن قال يخرج من
ضضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يبلغها أمته
وأن يطلب منها الانصاف بها والتحلى بحليتها
فكيف به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لاشك أنه
متحل بأفضلها ومتصف بأكرمها لا يلحقه فيها
لاحق ولا يضاهيه أحد ممن منحهم الله هذه
الصفات وكرمهم بتلك الخلال • وقد عرف
أهل السير وأصحاب التاريخ أن كل حليم قد
عرفت عنه زلة وحفظت له هفوة وهو صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم لا يزيد من كثرة الاذى الا صبورا
وعلى اسراف الجاهل الا حلما وقالت عائشة رضى
الله عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما
فان كان اثما كان أبعد الناس منه وقد اختار الارق
بقومه حين قال له جبريل لو شئت أطبقت عليهم
الأخشيين فقال دعنى أنذر قومي رجاء أن يوحده
أو يخرج من أصلاهم من يوحده • وما انتقم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله لنفسه الا أن
نتهك حرمة الله فينتقم لله بها • وقد روى البخارى
ومسلم وأبو داود ومالك فى موطنه ما ذكرنا من
هذا الخلق الكريم وفى رواية مسلم ما نيل منه
شئ قط فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شئ من
محارم الله فينتقم لله فلم يكن انتقامه الا لله لا لغرض
سواء وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على
متابعة هواه وفى الحديث دلالة على كمال حلمه
وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع
مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله
تخلقا بأخلاق ربه • روى أن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم

السهم من الرمية فكان هذا الرجل رأس الخوارج
وقتل يوم النهروان على يد علي كرم الله وجهه
ولكن حلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسعه
فنهى من أراد من أصحابه قتله لطمته في الرسول
بنقى عدله . والحديث رواه الشيخان في الصحيحين

وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم
غورب بن الحارث ليقتك به ورسول الله ممتد
تحت شجرة وحده مستريحا وقت الظهيرة والناس
قائلون في غزاة ذات الرقاع فلم يتنبه صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في
يده فقال من يمنعك مني ، فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم : الله ، فسبق السياف من يد الرجل
وأخذه صلى الله تعالى على عليه وسلم وقال للرجل
من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا
عنه وكان ذلك سبب اسلامه ، وجاء الى قومه وقال
جئكم من عند خير الناس .

ومن عظيم خيره في العفو أنه لم يؤاخذ

عبد الله بن أبي (ابن سلول) وهو رئيس أهل
النفاق وهو القائل :

متى ما يكن مولاك خصلك لم تزل
تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه
وان جز يوما ريشه فهو واقع

ولم يغضب رسول الله واتسع له صدره هو
وأشبا به من المنافقين مع عظيم ما نقل عنهم قولا
وفعلا. كما قال تعالى حكاية عن ابن أبي (يقولون
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)
أراد بالأعز نفسه وبالأذل أعز خلق الله سبحانه
وتعالى بل قال لمن أشار بقتل بعضهم من أصحابه
لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وكذلك
يكون أخلاق الدعاة لا ينغرون الناس بل يؤلفونهم
ولهذا كان رسول الله يتألف الكفار المصالحين
لكونه رحمة للعالمين .
هذه رشفة من أخلاق رسول الله من محب
تابع ضعيف خاضع وهو سعيد ان نالت القبول
والا قبه دائما متبول .

كيف ترقى رقيق الأنبياء
لم يساووك في علا
ياسماء ما طاولتها سماء
ك وقد حال سنى منك دونهم وسناء
البوصيرى

المنهاج السقيم

— ٥ —

١ - انتهينا في مقالنا السابق الى اختلاف ، حول علم الكلام ، أهو علم ضار لا يدرس أم هو علم نافع يجب تعميم دراسته ، ولكل وجهة هو موليا ، وقد أشرنا الى وجهتي النظر فيها ، وليس المقام هناك ولا هنا مقام تفصيل وتبيين ، ولكن لابد من أن نبين رأينا في هذا العلم ، فقد رأينا بعض العلماء يهاجمه في ندوات علمية ، وكان هو بالذات أولى بأن يدافع عنه •

ان علم الكلام ، أو علم التوحيد كما كانت التسمية جارية في الأزهر ، أو علم أصول الدين كما هو في أصل معناه وحقيقته قد أنشأته الضرورة ، لأنه نشأ دفاعا عن الاسلام ، وردا على منتقديه • وسمى علم الكلام ، لأن الذين تكلموا فيه كان أساس كلامهم نسبة صفة الكلام الى الله تعالى ، ونقدها ، لأنهم وجدوا أن الذين يريدون أن يشككوا المسلمين في أمر دينهم كانوا يثيرون الكلام حول صفة الكلام ، لأنه جاء في بعض شئون المسيح عليه السلام أنه كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه ، فتعلق بها المسيحيون ؛ وقالوا ان كلام الله تعالى قديم ، وكلمته قديمة ، فيكون المسيح قديما ، وينتهون من هذا الى أن له

٢ - رأى رجال المعتزلة إثارة الفتن والشكوك بهذه الطريقة من رجل كان يخدم في البيت الأموي ، فكان لابد أن يسدوا عليهم الطريق ، بأن ينفوا صفة الكلام ، ويقولوا ان الله تعالى لم يتصف بهذه الصفة ، اذ لم يرد في القرآن وصفه تعالى ، وان كان قد ورد الفعل في قوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » وذلك لا يقتضي الوصف ، بل انه سبحانه وتعالى خلق التكليم والمناداة لموسى •

وجروا في ذلك شوطا بعيدا ، فقرروا أن القرآن كلام الله تعالى بمعنى أنه خلقه معجزا لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله ، كما خلق معجزات عيسى وموسى وغيرهما ، وأجراها على أيديهم ، وان ذلك لا يقتضي أن تكون قديمة ، ولا أن تكون غير مخلوقة •

وجرى الخلاف بين أهل الاعتزال وغيرهم حول صفة الكلام ابتداء ، ثم تنقل الى مسائل

المعتزلة ، ثم ثنوا بالرد على المهاجرين للإسلام
كما فعل القاضي أبو بكر الباقلائي الأشعري المناهض
المالكي المذهب •

وبذلك تجمع ما تجمع من علم الكلام ، وكله
ناشئ من الخلاف بين المعتزلة وغيرهم أو من الرد
على ما يهاجم الإسلام به ، وتجد المسائل التي يتعرض
لها من مسائل الإسلام ، أكثرها خلافي ؛ كمسألة
صفة الكلام ، والحير والاختيار ، ومسألة مرتكب
الكبيرة ، ورؤية الله يوم القيامة ، وكون الأشياء
لها حسن ذاتي وقبح ذاتي ، أم أن التحسين
والتقبيح من أمر الله تعالى ونهيه .. وهكذا أكثر المسائل
فيه خلافية ، لا عن جوهر العقائد ، ولا أساس
التوحيد ، ولكن تمس أموراً يثيرها غير المسلمين ،
ويجري الخلاف فيها بينهم •

٤ - وانه بلا شك تجب دراسة علم الكلام
في المعاهد المتخصصة لعلم الإسلام لاعتبارات
كبيرة :

أولها - أنه جزء من تراثنا الفكري نشأ في
ظل الإسلام ، ول مقتضيات الزمان ؛ وكل أمة تعنى
بتاريخها الفكري وأحياء تراثها في المعقول
والمقول ، واننا نرى بلاد الغرب تعنى بدراسة
أقوال الفلاسفة الأقدمين مع أنها لا تمس الحياة
المادية القائمة ، ولكنها تراث الفكر ، وتأملات
الماضين ، وإن علم الكلام هو فلسفة الإسلام التي
تحرر مع : الاعتقاد ، وتدافع عن حقائقه ، ولقد
عنى علماؤه بالرد على الفلاسفة كما فعل الغزالي ،
وكما فعل أبو بكر الرازي رضي الله عنهما ،
فهو بحق الفلسفة التي تتسم بأنها إسلامية ، لانها

أخرى كخلق الانسان أفعال نفسه ، وكان قد
جرى من قبل في مرتكب الكبيرة ، أهو مخلد
عى النار أم هو كافر أم مؤمن ، أم في منزله بين
المنزلتين •

واسترسل الفريقان في الخلاف ، وقامت
منازعات ، وارهاقات ، وتقيد في الحرية عندما
تدخل الحاكم • فانه عندما اعتنق المأمون مذهب
المعتزلة أيده وتوارث من بعده ذلك التأيد
للاعتزال بقوة السلطان والقهر أخوه المعتصم ،
ومن بعده الواثق ، ثم جاء من بعده ، فعارض المعتزلة
وانتقل الاضطهاد من ساحة الفقهاء والمحدثين الى
ساحة المعتزلة •

٣ - وانه مما يجب تسجيله أن المعتزلة هم
الذين قاموا بالدفاع عن الإسلام ، ورد الشبهات
عنه ، لأنهم أوتوا سلاح الجدل بالمنطق والبرهان
وأدوات المحاجة والافحام والاقناع ، وكان اعتمادهم
فى المجادلة على العقل الذى أجادوا به المصاولة ،
ولم يكن اعتمادهم على النقل الذى لا يلتزم به
الخصوم ، وكانوا بهذا حرباً على كل الذين
يهاجمون حقائق الإسلام ، ويعملون على التشكيك
ثم اشتد الخلاف من بعد ذلك بين المعتزلة ،
والفقهاء والمحدثين ، ثم كان بعد ذلك من الفقهاء
من تسلحوا بسلاح المعتزلة من المنطق ، والبرهان
العقلي ، وكانت جولاتهم ابتداء من المعتزلة وبينهم ،
ثم انتقلوا من هذا الميدان الى ميدان الدفاع عن
الإسلام أمام الذين يهاجمون ، وذلك بعد أن
جاء أبو الحسن الأشعري في العراق ، وأبو منصور
الماتريدي في خراسان ، فقد ابتدأوا بالرد على

نشأت في ظل الاسلام من غير أن تؤخذ من غيره
الا بمقدار الرد والدفع

ثانيها - أنه نشأ دفاعا عن الحقائق المقررة ،
وانه مادام للاسلام مهاجمون ، فانه يجب أن يكون
في علمائه مدافعون ، ومادام هناك من يشير الشبه ،
يجب أن يكون من بين العلماء من ينفيها ، كما
ينفي الحث عن الحديد ، ليبدو جوهره ، وانه
يجب أن يكون الدفاع شاملا تماما ، ولا يقتصر
على دراسة ما كان يتردد فيه من مسائل •

ثالثها - انه يجب تنقية الحقائق الاسلامية مما
يلحق بها من أوهام في كل العصور ، فان الحقائق
في دورانها عبر التاريخ يتعلق بها من الاوشاب
والاخلاط ما ليس منها ، كما يجري الماء النقي
في مجارى المياه ، فانه يحمل ما فيها وما في
الجبسور من أعشاب ، وطمى ، وغير ذلك ،
ويجربى بها حتى مصبه •

ومن واجب العلماء أن يزِيلوا هذه الاخلاط ،
حتى لاتطني على الحقائق ، وان ذلك يكون تجديدا
للاسلام باظهار جوهره نقيا صافيا مصقولا دائما
٥ - واذا كان علم الكلام لابد من دراسته ،

وليس اهماله مما يسوغه العلم ، فان الواجب
أن يكون حاضره متفقا مع نشأته وغايته ، لقد
نشأ للدفاع عن الاسلام ، وغايته بيان حقائقه ،
ودفع ارتباب كل مرتاب ، وتصفية العقيدة مما
يلحق بها من أوشاب •

ان الاسلام يهاجم بطرائق شتى ، ومن جهات
مختلفة ، ويهاجم في فروع وأصوله معا
فيهاجم شخص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ،

في زواجه من زينب بنت جحش ، ويهاجم في تعدد
أزواجه صلى الله عليه وسلم ، ويهاجم مبدأ الوحي ،
ويدعى على الاسلام أنه دين الحرب ، وأنه انتشر
بالسيف ، ولم يكن انتشاره بالحجة والبرهان
واقامة الدليل ، وتهاجم المصادر الاسلامية ،
فيهاجم القرآن الكريم من ناحية نزوله وتواتره
ومن ناحية اعتباره ، وتهاجم السنة النبوية من
ناحية روايتها ، حتى انه يدعى الاوربيون الذين
يعرفون العربية بأن السنة اصطنعت في القرن
الثالث الهجرى ، ايهاجمون الفقه القرآنى
والنبوى جملة بأنه اعراف الجاهلية صيغت في
فقه المدنية ، ويدعون أن فقه مالك ليس الا عرف
الجاهلية قد ادعى أنه فقه الصحابة والتابعين •

وهكذا طم السيل وطمى ، ومما زاد الطين
بلة ، وتجاوز حد المعقول أن وجدنا بعض الذين
يتسمون بأسماء اسلامية ، ويحسبون أنهم أوتوا
حظا من علم الاسلام يعتمدون على هذه الاكاذيب
على الاسلام ، ويفضلون ما يقوله علماء الغرب في
الاسلام على ما يقوله علماء الاسلام ، وتلك الطامة
الكبرى ، ومظاهر التقليد الاعمى في أعلى صورته ،
وأدق حقائقه •

٦ - ولا يهمننا أمر هؤلاء المقلدين الذين
أفنوا ذواتهم في الغرب ، فمصيبتهم في أنفسهم
أكبر من مصيبة الاسلام فيهم ، انما الذى يهمننا
هو هذا الهجوم الذى تتضافر به القوة المادية على
المسلمين ، والاقوياء يدفعون العلماء ، ليضعف
شأن المسلمين ، ويضعف ايمانهم ، ويقفوا سيل
الاسلام ، وهم يريدون أن يطفئوا نوره ، ويأبى الله

الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » •

لأنه تراث السابقين ، وفيه بيان عقيدة التوحيد
بيانا قرآنيا ، وبيانا عقليا ، وفيه أوجه النظر المختلفة
فى بعض ما اشتمل عليه القرآن من آيات تتعلق
بما يكون يوم القيامة ، وفيه تعريفات تبين
الاصطلاحات القرآنية ، كتعريف معنى الاسلام
والايمان ، وء يرد ذلك من التعريفات التى لا بد
منها للعالم المتخصص فى دراسة الاسلام •

واذا كان الاقدمون قد تكلموا فيما يهاجم به
الاسلام ، وتصدوا للمبادئ التى كانت تثير الشك
بين المسلمين فى علم دونوه ، وما كانت تثار مسألة تتعلق
بأصول الاسلام الا تصدوا لها بالرد ، وان لم
يكن ردهم فى مضمون علم أصول الدين الذى
هو علم الكلام ، وقد اخترنا له هذه التسمية
لتكون جامعة ، ولقد كان ردهم فى كتب ألفوها
فى المسائل التى اعترض بها ، فانه عندما أعلن
بعض العلماء أن القرآن ما أعجز بذاته بل بأن الله
صرف الناس عن أن يأتيوا بمثله ، كما يزعم
البراهمة فى أشعارهم المقدسة المسماة بالفيداء فانه
ما أعلن ذلك على لسان بعض المنحرفين فى القرن
الرابع الهجرى والخامس حتى تصدى العلماء
لابطال ذلك القول ، وبيان أن اعجاز القرآن
كان فى ذاته . فكتب الباقلانى كتاب دلائل الاعجاز
وكتب عبد القادر الجرجانى كتاب دلائل الاعجاز
وكتاب أسرار البلاغة ، وكتب الزمخشري تفسيره
متحريرا اعجاز البيان فى جزئياته ، كما بين الباقلانى
وعبد القاهر الاعجاز فيه جملة ، وان لم يتعرض
بالتفصيل لآياته آية آية •

والقسم الثانى دراسة ما يشيره الغربيون حول
الحقائق الاسلامية . مثل تعدد الزوجات والطلاق فى
الاسلام والشبهات التى يثيرونها بالباطل حول
شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، وحول
القرآن ، وحول السنة ، وحول ما يفترى على
الفقه الاسلامى من أنه أخذ من الفقه الرومانى
مع ما بينهما من الاختلاف فى الاصل والمنهاج أو
حلول للمشاكل الاجتماعية ، وما بينهما من
تفاوت وتباعد أكثر مما بينهما من توافق ، على أن
التوافق نادر وهو يعتمد على بدهيات العقول ،
ولا يعتمد على النقول ، فهى قضايا تتلاقى فيها
أحكام العقول مهما تباينت •

وفى الجملة اننا نريد أن نقتفى آثار الذين
سبقونا ممن دافعوا عن الاسلام ، فقد دافعوا فيما
جد فى عصورهم ، فلندافع عن الاسلام فيما جد
فى عصورنا ، لقد كانت أسلحة الهجوم فى الماضى
تختلف عن أسلحة الهجوم فى الحاضر فلنختار
جروب مجلات قديمة - تلجرام

٧ - واننا لهذا نرى أن يدرس علم أصول
الدين ، وتتقدم دراسته ، وتكون دراسته على
قسمين : أحدهما - دراسة العلم القديم كما هو ،

من الأسلحة ما يناسبها ♦♦

وفلسفية في هذه الدراسة ، فقد وجد ما يسمى

بالمناطق الدينية ، والمناطق العاطفية ، وأثر الآراء

والمعتقدات في النفوس ، وأثر التقاليد والعادات

في فهم الدين ، ولا بد من أن تدرس في معاهدنا،

لنستطيع أن نواجه خصوم الاسلام ، وان مكان

هذه الدراسة هو في علم أصول الدين ، وبذلك

تشعب شعبه ويؤدي خدمته للإسلام في حاضره،

كما أداها في ماضيه ، فانه لكل زمان سلاح ،

ولكل عصر عدة ، والله سبحانه وتعالى هو الهادي

إلى الرشاد ♦

٨ - وان الاقدمين من علمائنا عندما أخذوا

يزودون عن الاسلام ، استعانوا بعلم المنطق ليردوا

شبهات المهاجمين ، ويضبطوا زيف القول الذي

يرددونه ، وقد كان منطق أرسطو هو السلاح

الذي يدفعون به ، والقياس الذي يقيسون به الحق

ويضبطون به أهل الباطل متلبسين بباطلهم وهم

أخذوا العدة مما كان في عصورهم ♦

وقد جد في عصورنا أسلحة أخرى في

دراسة الآراء والمعتقدات ، فوجدت دراسات عقلية

وقد روى البخاري في فضائل النبي ومعجزاته هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما :

« جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بهم أعرف أنك نبي؟ قال: أرايت لودعوت

هذا العذوق من هذه النخلة أتمهد أي رسول الله؟ قال: نعم فدعا العذوق فجعل العذوق يزل

من النخلة حتى سقط في الأرض ، فجعل يقفز حتى انتهى إليه ، فقام بين يديه فقال له النبي صلى

الله عليه وآله وسلم : ارجع إلى مكانك ، فرجع إلى مكانه ، فأسلم الأعرابي . ،

رواه أحمد والبخاري في التاريخ والترمذي والحاكم وصحاحه وغيرهم .

عاقبة الظلم

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم آخره يفضي إلى الدم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

الآثار النبوية

التيمورية • • وكان له غرام عجيب باقتناء الكتب،
والحصول على المخطوطات النادرة ، وتصوير
ما لا يستطيع اقتناءه منها •

ولأحمد تيمور مؤلفات كثيرة منها : ضبط
الأعلام - لعب العرب - الأمثال العامة - الكنايات
العامة - البرقيات - أوهام شعراء العرب -
التذكرة التيمورية - على بن أبي طالب : شعره
وحكمه - أعلام المهندسين في الاسلام - الآثار
النبوية - التصوير عند العرب - أبو العلاء المعري
الخ • • • وتوفي أحمد تيمور سنة ١٩٣٠ •

وقد ذكر أحمد تيمور في أول كتابه الغرض
منه فقال : « لم أقصد ببحثي هذا سرد ما دون عن
الآثار الشريفة التي اختص بها محمد صلى الله
عليه وسلم في حياته ، وخلفها بعد انتقاله الى
الرفيق الأعلى من سلاح ومراكب وثياب وآلات
وغيرها ، فان في كتب السيرة من بيان ذلك ما يغني
عن التحدث به الى القراء ، وانما قصدت أن
أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها اليه صلى الله
عليه وسلم ، وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم
بين صحيحها وزائفها ، لأبين ما حققه العلماء
منها • »

وينبغي أن نلاحظ أن جمهور العلماء على
أن التبرك بآثار النبي - اذا صحت نسبتها وثبتت -

في شهر ربيع الاول ، وهو شهر المولد ،
وشهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يحلو
الحديث عن آثار هذا النبي الكريم • • وهناك
كتاب ألفه العلامة المحقق المرحوم أحمد تيمور
باشا عليه رحمة الله ، ونشرته لجنة نشر المؤلفات
التيمورية سنة ١٩٥١ ، وهذا الكتاب - كما جاء
على غلافه - يضم البحوث التاريخية النفيسة التي
حققها الفقيه الكريم ، واختتم بها حياته الطيبة
وعنوانه : « الآثار النبوية » •

وأحمد تيمور هو شقيق الشاعر العربية
المصرية عائشة هانم التيمورية صاحبة ديوان
« حلية الطراز » ، وصاحبة القصيدة المشهورة :
بيد العفاف أصون عز حجابي
وبعضتي أسمو على أترابي

وهو والد محمد تيمور رائد المسرح العربي،
والقصة المسرحية العربية ، ووالد محمود تيمور
عميد القصة العربية الفصيحة • وكان من أصدقائه
محمود سامي البارودي ومحمد عبده وأحمد زكي
وحسن الطويل وغيرهم •

وقد وقف أحمد تيمور حياته على خدمة
العروبة والاسلام ، وكان محققا ثباتا بجاهة ، وجمع
مكتبة عظيمة نادرة ، توجد الآن في دار الكتب
المصرية بباب الحلقى بالقاهرة تحت اسم « المكتبة

أمر مشروع ، فقد كان الصحابة يتبركون بعرقه وماء وضوئه وشعره وثيابه ، وإن كان بعض الأئمة كالشاذلي يرى أن ترك هذا التبرك أولى ، لأن الرسول رأى بعض صحابته يسارعون الى ماء وضوئه ليتبركوا به ، فقال لهم : لم تفعلون هذا ؟ فقالوا : نلتمس الطهور والبركة . فقال : « من كان منكم يحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث ، وليؤد الأمانة ، ولا يؤذ جاره » .

ونلاحظ أن المؤلف في كتابه لم يقتصر على ذكر التحقيقات التاريخية ، بل مزج ذلك بنسبمات الأدب والشعر ، فهو عندما يتكلم مثلا عن آثار النبي يورد قول صلاح الدين الصفدي في هذه الآثار :

أكرم بآثار النبي محمد
من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظري وتمعي
ان لم تريه فهذه آثاره
وتابعه جلال الدين بن خطيب دارياالدمشقي
فقال :

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
خلع الرسول برده وألقاها عليه .
ويمضي المؤلف في تحقيقه فيقول : « لاختلاف بين المؤرخين في كون البردة العباسية أثرا نبويا صحيحا ، ولكن لما كان المخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم بردين اختلفوا في التي صارت منهما لبني العباس . قال الامام الماوردي في (الأحكام السلطانية) : وأما البردة فقد اختلف الناس فيها ، فحكى أبان بن ثعلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير ، واشتراها منه معاوية رضى الله عنه ، وهى التي يلبسها الخلفاء .

يا عين أن بعد الحبيب وداره
ونأت مرابعه ، وشط مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائل

ان لم تريه فهذه آثاره !

ولقد تحدث المؤلف عن طائفة من آثار النبي وهى : البردة والقضب (كالعصا) والخاتم ، والمظلة ، والسيف ، والعمامة ، والمنبر ، والسرير والعلم ، والركاب ، والنعال ، والشعرات . الخ فوصف المؤلف هذه الآثار ، وبين نشأتها وتاريخها وتنقلاتها ومصيرها ، ونقل الكثير من النصوص عن المراجع المختلفة في ذلك ، وبدا

وحكى ضمرة بن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها أهل أيلة أمانا لهم . فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبي أوفى ، وكان عاملا عليهم من قبل مروان بن محمد ، فبعث بها اليه ، وكانت في خزانته حتى أخذت بعد قتله ، وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلاثمائة دينار .

ويبين المؤلف كيف توارث العباسيون هذه

الى عمر ، ثم انتقل الى عثمان بعد عمر ، ثم سقط من عثمان في بئر « أريس » بالمدينة المنورة ، وبحسوا عنه كثيرا فلم يجدوه ، وحزن عثمان لذلك حزنا شديدا ، وصنع له خاتم مثل الخاتم المفقود ، ولم يصح أن هناك خاتما للرسول بقي بعد ذلك •

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم سيف سماء « ذو الفقار » ويقال انه بقي الى عهد الفاطميين ، ثم ضاع حينما نهبت خزانة سلاحهم •

وكان للرسول منبر يخطب عليه ، وفي عهد معاوية أمر معاوية مروان بن الحكم عامله على المدينة باقتلاعه لينقله الى الشام ، ولكن الناس غضبوا من ذلك فخشى مروان الفتنة ، فزاد فيه ثم رده الى مكانه ، وقال انما اقتلته لأزيد فيه • وبقي المنبر في مكانه حتى احترق باحترق المسجد سنة ٦٥٤ هـ •

وكان للنبي سرير ينام عليه ، وهو منقطع الخبر في التاريخ ولا يعرف مصيره •

وترغم العامة أن في جامع « أثر النبي » بالقاهرة حجرا عليه أثر القدم النبوية الشريفة ، ومثل هذا يقال عن حجر موجود في مسجد السيد أحمد البدوي بطنطا، وليس هذا الزعم بصحيح وقد ألف العلامة ابن العجمي المتوفى سنة ١٠٨٦ كتابا سماه « تنزيه المصطفى المختار عمالم يثبت من الأخبار » أثبت فيه عدم صحة الأحجار التي يقولون ان عليها آثار قدم النبي ، وقال الامام ابن تيمية ان ما يروونه في هذا الباب من افتراء الجهال والقول بهذا من الكذب المخلوق •

البردة في حرص واجلال ، ولذلك نرى البحري الشاعر المعروف يقول في مدح الخليفة العباسي « المتوكل » حينما خرج الى صلاة عيد الفطر وهو يلبس هذه البردة :

أيدت من فصل الخطاب بحكمة

تنبى عن الحق المين وتخبر

ووقفت في برد النبي مذكرا

بالله تنذر تارة وتبشر

حتى لقد علم الجهول ، وأخلصت

نفس المروى واهتدى المتحير

وبعد أن يورد أشعارا كثيرة في البردة يذكر أنها فقدت في القرن السادس الهجري ، وينقل عن الامام جلال الدين السيوطي أنها فقدت في فتنة التار عند سقوط بغداد وانقضاء الخلافة ، ويقول البغدادي في ذلك : « وبقيت في خزائن بني العباس الى أن وصل المغول (التار) وجرى ما جرى ، والله أعلم بحقيقة الحال » •

وروي أن هولاكو أخذ البردة والقضيب من المستعصم آخر خلفاء بني العباس ، وجعلهما في طبق نحاس ، وأحرقهما • وذر رمادهما في نهر دجلة ! •

وعند العثمانيين بردة يقولون انها بردة النبي ، ولكن المؤرخ « القرمانى » أثبت أن هذا شيء لا يصح ، ولم يرد فيه ما يعتمد عليه من الأقوال •

وكان للرسول عليه الصلاة والسلام خاتم مكتوب عليه : « محمد رسول الله » وكان يختم به خطباته الى الملوك وغيرهم ، وبعد وفاته انتقل الخاتم الى أبي بكر الصديق ، وبعد أبي بكر انتقل

وكذلك الشعرات النبوية الموجودة في تركيا وغيرها لا يوجد ما يقطع بصحة نسبتها الى الرسول عليه الصلاة والسلام •

ويتحدث الكتاب عن « الركاب النبوي » فيقول هذه العبارة : « لم نقف الا على خبر ركابين قيل انهما نبويان ، أحدهما كان عند علاء الدين الخلاطي ، والثاني كان عند الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي من ذرية صلاح الدين الكبير ، أما الاول فمذكور في ترجمة الخلاطي بالدرر الكامنة للحافظ بن حجر العسقلاني ، ونصها : على بن محمد بن الحسن الخلاطي الحنفي علاء الدين الملقب بالقادوسي لطول تطوير عمامته ، ويعرف أيضا بمزلقان ، وكان يقال له الركابي ، لأنه كان يزعم أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يزعم أن عنده من شعره ، وتفقه واشتغل وتقدم ودرس بالظاهرية وولى امامتها ، وهو أول من أم بها ، ودرس بالديلمية ، وكتب على الهداية شرحا ، وناب في الحكم عن معز الدين نعمان بالحسينية ، ومات في النصف من جمادى الاولى سنة ٧٠٨ » •

وأما الثاني فرأيت مذكورا في جزء عندي قديم الخط من تاريخ بغداد لم أعرف اسمه ولا اسم مؤلفه ، جاء فيه :

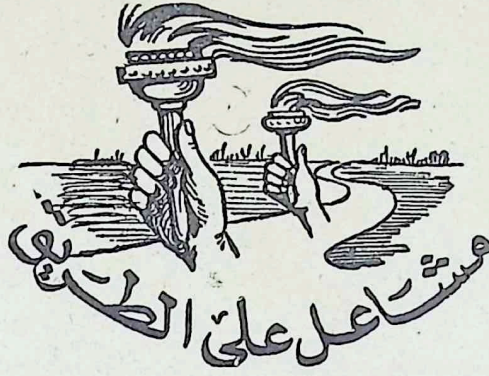
في حوادث سنة ٦٥٣ مانصه : « وفيها أرسل صلاح الدين بن أيوب صاحب دمشق وحلب الى الخليفة المستعصم رسولا معه فردة

ركاب كبيرة من حديد ذكر أنها ركاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنها عند بني أيوب يحفظونها كما يحفظ بنو العباس البردة الشريفة ، فقبلها الخليفة وجعلها في خزانته مع البردة والتضييب فأنشد أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد ارتجالا : لو كنت في زمن النبي محمد من آله أو كنت من أصحابه

ما رام قلبي غير لثم ركابه
شرفا ، وقد بلغت لثم ركابه »

ولكن ناشري الكتاب قالوا انهم وجدوا بين أوراق أحمد تيمور قصاصة يقول فيها عن الآثار النبوية هذه العبارة : « ليس في هذه الآثار ولا فيما أوردناه عنها من النصوص ما يثبت على الاسترابة في نسبتها الى المقام النبوي الكريم ، ولا يخفى أن كل شيء محتمل للصحة ، اذا لم يلزم بطعن أو يحف بشبهة واستفاضت به الأخبار ، كان حقيقا بأن تطمئن اليه النفوس وتلقاه بالقبول ، ولا سيما اذا كان أثرا منسوباً الى صلى الله عليه وسلم لا تؤمن فيه مغبة الشك والانكار ، ولذلك رأينا ذوي الحيلة من السلف ومن ائتم بهديهم في كل جيل يتخرجون عن المجازفة بالانكار في مثل هذه الآثار ، ويرون السلامة في قبولها والتسليم بها ، ما لم يمنع مانع » •

وقد وضع الناشرون هذه الكلمة في آخر الكتاب •



مكاثرة النبي « صلى الله عليه وسلم »

١ - لاشك أن الانبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم القمم العالية في المجتمع ، والمنابر الداعية الى الحق والخير ، وقد جعلهم الله في مقدمة الذين أنعم عليهم كما يفهم من قوله تعالى « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) وكما يفهم من قوله سبحانه بعد أن ذكر زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وأدريس « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » (٢)

٢ - والنبوة كما قيل - « هبة الله لاتنال بالكسب ؛ لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها القادر على حملها » (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومحمد صلى الله عليه وسلم أعد

شرف موضع الانبياء ، فان كانت من النبأ - وهو الخبر المفيد لما له شأن مهم - كان معنى « النبي » المنبئ عن الله أو المنبأ من الله وان كانت من النبوة أو النبوة - وهي المكان الملى - كان معنى « النبي » الرفيع المكانة العظيم الشأن ، ولاشك أن وضع النبي بين قومه كوضع الربوة العالية الحالية بالعشب والشجر والزهرة والثمر ، فهم يتلقون من الله فيوض الوحي كما تتلقى الربوة فيوض الغيت فتتهز وتنب وتزدهر وتثمر .

ثم ان كلمة النبي تشير في أصل وضعها الى

أمة • لأن بخير الأمور الوسط ، وذلك يفهم صراحة من قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقوله سبحانه « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » فإذا كان المسلمون شهداء للأنبياء على الناس ، وكان صلى الله عليه وسلم شهيدا على هؤلاء • كانت منزلته بمثابة السماء التي لا تطاولها سماء ، ولعل ذلك بعض ما يفهم من عهد الله الى الانبياء حيث يقول الله « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لمامعكم لتؤمنن به ولتنصرن قال أقررتم وخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (٩)

٤ - هذا الى أن عموم رسالته للناس ، وبقاء معجزته على الزمن وسعة الدين الذي بعث به لكل نواحي الحياة ، واستجابته لكل حاجات البشر في كل زمان ومكان ، مما يفسر به قول الله فيه « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقوله فيه « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » وقد بشرت التوراة والانجيل به وبالنور الذي أنزل معه كما يفهم من قول الله « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا

لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه ، أحمره وأسوده إنسه وجهه ، وأعد لأن يحمل أكمل رسالة وأكمل دين ، ولأن يختم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده الى أن تنفطر السماء • وتكدر النجوم • وتبدل الأرض غير الأرض والسموات » (٣) وتظهر عناية الله بأعداده وتربية استعداداته لحمل رسالته العظمى فيما يفهم من قوله له « ألم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى » (٤) فإنه يفهم منه أنه سبحانه هو الذي آواه وهداه وأغناه ، كما يفهم من قوله له « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » (٥) أنه كما قال فيه القائل :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهل والتأديب في اليتيم

٣ - أما مكانته صلى الله عليه وسلم بين الأنبياء فتبدو واضحة جلية في قول الله فيهم وقوله فيه « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً • يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الأرض ولا يكتبون الله حديثاً » (٦) فانه مع مما يفهم من قوله « ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء » (٧) وقوله فيه وفي أمته « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (٨) يدل على أن مكانته بين الأنبياء كما يقول فيه القائل :

كيف ترقى رقيك الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

فإن معنى قوله تعالى « أمة وسطا » ان امته خير

(٣) الشيخ المراغى في مقدمة كتاب محمد

(٤) ٦ ، ٧ ، ٨ الضحى (٥) ١١٣ النساء

(٦) ٤١ ، ٤٢ النساء (٧) ٨٩ النحل

(٨) ١٤٣ البقرة (٩) ٨١ آل عمران